

## كتابي الأول

في حق الإصدارات الجديدة التي تحتك واجهات المكتبات، وتحظى بحفاوة فورية، وتُكتب عنها مراجعات نقدية سريعة، نفتح هذه الصفحة للاحتفاء بالكتب الأولى لكتاب تركزت تجاربهم وأسماءهم، وبانت تفضلهم مسافة زمنية وإبداعية عن بواكيرهم التي كانت بمثابة بيان شخصي أول في الكتابة.

# طاهر البكري

## حارث الشمس



الديوان هو كريشة في مهب الرياح ولا حيلة لك فيه وأنت تسعد إذا ما أسعفك الحظ وأصبح دور المثلقي مساهمة نقدية جذية تتعدى مجرد القراءة السريعة.

صدر الديوان في عام 1983 في غلاف برتقالي، وهتف إلي الناشر: «تعال نحتفي بصدور الكتاب، الطبعة متواضعة ولكنها جميلة. لا تشغل بالك، سيكون له قبول حسن وطول الانتظار له مزيًا».

كان صباحاً باريسياً منعشاً، وكنت كحارث شمس تحمل بين أشعثها بعضاً من نور يبدد ظلمة بغیضة وينتصر على حزن موحش.

غريب أمر هذا المولود الأول الذي نحمل إلى صفحاته أكثر من غيره فيما ننشر لاحقاً، عطفاً وحباً رغم ما في الكتابة من خطوات أولى متعثرة والتي سرعان ما نصبو إلى تجاوزها.

\* شاعر تونسي مقيم في باريس  
آخر أعماله: «شجرة توت حزينه في الربيع العربي» (المنار، باريس، 2016)،  
«كتاب الذكرى» (إليزاد، تونس، 2016)

والمهجر نصيب، ومن ذكريات السجن ألم ومرارة ومن الهيام والصراع مع الحرية معاناة، ولكن الأمل تشبثت عنيد بحرارة المبادئ وعصارة الأيام ونشغها.

سلمت في الأخير المخطوط إلى صاحب الدار الذي وافق على نشره ثم بقيت أشهراً أترقب صدوره بين قلق وتخوف من النتيجة وراحة لتمكني من التغلب على هذا الحاجز الأول، بين صبر مُرهق وترثيت متعقل، تتكاثر التساؤلات حقيقة أو خيالية.

كان للكتاب المنتظر أهمية قصوى في حين أنه لا يعدو أن يكون قطرة في محيط أو حبة في «كتاب الزمل» كما يقول بورخيس. ولكن إضافة كلمة من صنيعك إلى برج بابل رغم غوغاء اللغات وصخب اللغو تصبح كعصا موسى. فأنت لا تعتبرها تطاولاً على فكر الإنسانية أو تشويشاً على تاريخ الإبداع بل رغبة عميقة في أن تعبر، مهما كلفك ذلك، عن واحة ذاتية خصبة تُحدق بها مساحات الجذب والقفور ولا بأس من النزوع إلى الازدحام. بقي أن تقبل أن صدور

”

هك تكون «اللغة الفرنسية منفاي» كما كان يقول مالك حداد؟

فليكن «حارث الشمس» وفيه من كتابة المنفى والمهجر نصيب، ومن ذكريات السجن ألم ومرارة، ومن الهيام والصراع مع الحرية معاناة

“

على ثقنها فيما أكتب، وهي التي كانت تُدرّس وتُعرف بأعمال عديدة لكتاب مغاربة ككاتب ياسين، ومحمد ذيب، وإدريس الشرايبي، ومحمد خير الدين، والطاهر بن جلّون وعمران المليح. أضافت جاكين وكنت طالباً عندها في الجامعة التونسية في السبعينيات، قبل سجنني ورحيلني إلى فرنسا في عام 1976: «إن أنت اقتنعت بما أقول، هناك دار نشر جديدة تُدعى «سيلكس» وصاحبها من أصول كامرونية، ويمكنك الاتصال به. بعد أشهر من التردد، جاء الإقبال على بدء المغامرة وطُرح عليّ مسائل أخرى: هل تكون «اللغة الفرنسية منفاي» كما كان يقول مالك حداد؟ كيف يكون تنظيم الديوان؟ كيف يكون اختيار القصائد والتخلي عمّا بهت منها؟ كيف يكون تنسيق المواد وترتيبها؟ هل أنا في حاجة إلى تقديم أو مقدمة؟ كان يقيني شكاً واحتيازي مُلحاً. بحثت عن عنوان لما كنت اعتبره موحياً بمادة الكتاب، فليكن «حارث الشمس» وفيه من كتابة المنفى

تقول لي السيدة جاكين أرنو أستاذة الأدب المغربي الناطق بالفرنسية وكنت في بداية الثمانينات مساعداً في الجامعة الفرنسية: «طاهر، لماذا لا تجمع قصائدك في ديوان، أنت تنشر منذ سنوات أشعارك في المجلات والجرائد، ألم يكن الوقت لذلك؟».

فوجئت بالسؤال وهال علي الأمر كأنه طلب مني مواجهة حالة صعبة كنت أتحاشاها ولا أُرغب في مجابقتها. فأنا أنشر قصائدي منذ سنّ الثامنة عشر، وناهرت اليوم سنّ الثلاثين وأشعر بإحساس عميق بأن نشر ديوان أو مجموعة شعرية عمل فكري يتطلب جهداً كبيراً واقتناعاً قوياً بنضج الكتابة وتمرسها، ولا فائدة في التسرع وقد تكون لذلك عواقب خطيرة إن باء بالفشل، وربما كانت البداية نهاية.

هل أستطيع فعلاً تحمل ثقل أيّ إحباط أو هزم لمعنوياتي إن قوبل الديوان بنقد لاذع أو رأي سلبي أو عدم اكتراث؟ وكيف السبيل إلى نشر ديوان جديد والدنيا ملأى بالكتب والدواوين والأشعار؟ شكرت الأستاذة